اعمال الرسل وحقيقة اسنادهِ الى مؤلفهِ القديس لوقا وعهد كتابتهِ فيصح ان يقال عنهُ ما قالهُ الرسول عن الرومانيين (١ : ٢١) المتعنتين : « سفهتْ افكارُهم واظلمت قلوبهم الغبيَّة » اذ قد يتفق ان تظلم العقول في الحقائق التاريخيَّـة بسبب الاوهام والاغراض كما تظلم القلوب بسبب سطوة الشهوات الفاسدة والاميال القبيحة صان الله عقولنا وقلوبنا من شرّهما

النحل

نظر علمي عملي اقتصادي للاب اسكندر طوران اليسوعي

عجيبٌ هو الله في اعمالهِ ! هكذا هتف النبيُّ والملك داود حينما كان واقفاً يعتبر ما في الكون من مخلوقات الله المتنوعة . وكل من نظر بعين التأمل الى اعمال الله القدير لا بدَّ لهُ ان يردد الآية ويبـارك الخالق في كائناتهِ : نعم ان الله لعجيب في كلّ عمل من اعمالهِ . عجيب بما وهب الانسان من نور العقـل وحريَّة الارادة . عجيب بسنبلة الحقل التي يتذهل التاظر اليها من دقيق صنعها كما يتذهل من جمال الاوزة العظيمة وشموخ وسوق اغصانها . هو الله عجيب بهذا العدد العظيم من الحيوانات المختلفة الانواع وتلك الحشرات الصغيرة التي لكل طائفة منها غريزة خصوصيَّة وعوائد مألوفة واميال طبيعيَّة لا تحيد عنها مدى الدهر

ولكن دعنا اليوم نتخذ واحدة من هذه الكائنات موضوعاً لدرسنا نقصد بها هامَّة صغيرة غاية في اللطف وهي النحلة . ولعلَّ بعضاً من الجهلاء يعارضنـا قائلاً : ترى ماذا تجد في النحلة من الاشياء الغريبة العجيبة ؟ فان قلتَ انها تمجُّ العسـل والشمع فالبقرة تدرّ بحليب نصنع منهُ اللبن والجبن والسمن . وان قلت انها تلسع كل من تعرَّض لهـا بعُسَّتها فالثور يذبُّ عن نفسهِ بقرنيهِ والكلب ينهش من رام لهُ شرّاً . ولست ارى موضعاً للاعجاب في هـذه الحشرة الصغيرة

رويدك يا صاح فان كانت غاية ما تعرف عن النحلة كونها تصنع العسل والشمع وتلسب كل من تعرّض لها فلعلّ غيرك لا يكتفي بهذا القدر القليل ويتوق الى معرفة اسرار اخرى لا يفكر فيها الشرهُ الذي يطلب العسل ليملأ منهُ بطنهُ ويشفي شهوتهُ او لا يكترث لها المُلّاك صاحب ٢٠٠ الى ٣٠٠ قنير من النحل طمعاً بجناها والارباح التي يؤملها منها لكنهُ لا ينتبه الى شيء من طبائعها ومستعمراتها العجيبة وترتيبها الداخلي وعيشتها النظامية وتدبيرها وتكاثر نسلها. فلا يعرف من كلّ ذلك شيئاً يُذكر وان القيت عليهِ سؤالًا اجابك ببعض كلمات لا طائل تحتها وغفل عمَّا يستطيع ان يُساعد بهِ النحل لتوسيع شغلها وزيادة دخلهِ. ولا يعلم ان في هذه المستعمرات الصغيرة عجائب من التدبير والعمل والترتيب والنظافة ما يعود عليهِ بالنفع والفائدة فيكتفي بالقشرة ويسهو عن اللبّ ويضحّي الغد لمنفعة اليوم وربَّما فاتهُ ايضاً اداء الشكر الى الله الذي انعم اليهِ بكلّ هذه المرافق والخيرات

امَّا نحن فلا نقف عند هذا الحدّ من المعرفة بل نريد ان ندرس تلك الطائفة من الحشرات درساً مطوّلًا يوقفنا على ما يحدث داخل الخلايا من الاعمال الغريبة. فانتقلْ معي بالفكر ايها القارئ العزيز الى ذلك البستان حيث وُضعت قفران النحل فاذا فتحنا احدى الخلايا ونظرنا الى داخلها رأينا ان كل قرص من العسل قد جُهز لهُ اطار من الخشب كالجرار يمكن سحبهُ ومدُّهُ ورفعهُ وحطهُ من غير ان تُتلم الاقراص او تُعاق النحل عن شغلها. واذا تأملنا هذه الخلايا وجدناها غاية في الجودة لان المعتنين بها يعرفون عوائد سكّانها فيساعدونهم على توفير العسل والاسراع بجنيهِ. والذي يستوقف النظر اكثر من سواهُ انَّما هو العدد العديد من النحل فترى افرادها تتزاحم على مدخل معملها الذي تتألف منهُ تلك العائلة او المستعمرة الصغيرة

والنحلة لا تشتغل وحدها ولا مع عدد قليل من رفيقاتها كما تصنع الزنابير التي في عملها بعض الشبه مع عمل النحل. لكنها تشتغل بالالفة وتشترك مع الالوف من رصيفاتها في قنير واحد

واعلم انَّ الحشرم من النحل لا بدَّ لهُ من ثمانية آلاف الى عشرة آلاف نحلة حتى يقدر ان يواصل شغلهُ دون ان يفشل فيأتي بعسل نافع. وكل قنير يقلّ اهلهُ عن هذا العدد لا يمكنهم ان يستحضروا من العسل والشمع ما يكفيهم لمؤونة الشتاء. ولا ان

ينتجوا بالتوالد عدداً من الصغار يقوم مقام ما يموت منها كل يوم لانَّ اسباب الموت كثيرة بين النحل . وزد عليهِ ان هذه الهوامّ متى قلّ عددها لا يمكنها في الاماكن الباردة ان تحفظ في باطن الخلايا حرارة معتدلة تكفيها لمقاومة تغييرات الهواء في فصول السنة . وربَّما سطا البرد على الخشارم فيتلفها لقلّة عدد نحلها

ولا يكفي لحشرم النحل ان يثبت في الحياة واقفًا الغاية من كيانهِ العملُ النافع لصاحبهِ . وان شاء هذا ان ينال منهُ مبتغاه فعليهِ ان يزيد عدد العلة بحيث يبلغ كل كوارة من ٣٠,٠٠٠ الى ٤٠,٠٠٠ نحلة ولا بأس ان زاد عددها لانَّ وفرة المحصول تزداد بوفرة الصَّنعة وقد اثبت الاختبار ان خلية ذات ٤٠,٠٠٠ نحلة تُعمل اكثر من خليتين في كلّ منها ٢٠,٠٠٠ والأولى ان تكون الخلية عامرة بعدد يتراوح بين ٤٠,٠٠٠ و٥٠,٠٠٠ نسمة بحيث تقوم الحديثات المهد فتخلف كل يوم اللواتي تخور عن العمل لعجزها او تصاب بآفات تودي بأعمارها . وبذلك تقوى ايضاً على توليد خشارم جديدة في وقت الربيع

٥

دعنا الآن بعد هذا النظر الاجمالي نُنعم النظر في سكان الخلايا لندرس خواصها ونتبيَّن ميزاتها . ولا تظنَّن انَّ النحل كلها تشابه كلا فانك لو استطلعت طلعها في فصل الصيف لرأيت انها على نوعين مختلفين وكذلك لو فحصت شهد العسل مع شمعهِ لوجدت مخاريبه التي تُلاقى فيها ذواري النحل متفاوتة الحجم بعضها اكبر من البعض . فان بين النحل صنفًا اقوى بنيةً واصلب جسماً من الآخر لذويهِ عينان كبيرتان تشغلان اعلى الراس ومقدَّمتهُ . فتلك الذكور وسيأتي الكلام عنها فيما بعد . والصنف الآخر ادق جسماً واخف حركة ولعلهُ يتبادر الى ذهنك انَّ تلك الاناث كلا بل تلك العاملات لانَّهُ ليس في الخلية الا انثى واحدة تخلف نسلاً وهي التي يدعوها علماء الطبيعة من الاوربيين « ملكة النحل » اما العرب فيسمونها الملك او اليعسوب . واذا شئت ان ترى هذه الملكة فألقِ بنظرك الى ناحية الخلية حيث تزدحم النحل فهناك هي الا انك لا تستطيع ان تنظرها الا عرضاً لانَّها لا تحبُّ ان تُحدق بها الابصار فتستتر في وسط النحل كانَّها حرمة تختفي عن اعين الغرباء . ولها ما عدا ذلك

في بقيّة النحل حرس يصونها ويحجبها كأنهُ يرى في حياتها سلامتهُ . وتلك غريزة وهبها الله هذه الحشرات لصون كيانها

هلمَّ بنا الآن نتكلم بالتفصيل عن اصناف النحل الثلاثة اي النحلة العاملة ثم الذكر ثم الملكة لندرك شيئاً من طبائع هذه الانواع الثلاثة واخلاقها وعاداتها

١ النحلة العاملة

هي النحلة التي يتألف منها العدد الاعظم من سكّان الخفير وهي التي تقوم بكل الاشغال ما عدا نتاج البيض . فاذا نظرتَ الى خارج الكوارة رأيت ثلاث او اربع نحلات كأنهنَّ يتجاذبن ويبترنَ القوائم والاجنحة بعضهنَّ لبعض اما اصغرهنَّ واخفهن فالتي في الوسط فهذه نحلة قد خرجت حديثاً من مخروبها فعاينت النور لاول مرَّة من حياتها وتلك النحلات الثلاث قد رافقنَها الى امام الخفير ليجلونها ويزيّنَها كاختهنَّ الصغيرة . انظر كيف انهنَّ ينشّفنَ جناحها طولاً وعرضاً ويمسحنَ كل جسمها وقوائمها ودوائر عينيها وفمها حتى لا يبقى مكان الّا يصيبهُ شيء من اعتناء الشقيقات الكبيرات فاذا استقامت الجوانح واصبحت متينة حسنة الصقل طارت النحلة الجديدة من وقتها في الفضاء لاوّل مرَّة لتطلب لها قطرة ماء حلوة تصنع منها عسلاً وهكذا تزداد النحلات عدداً وتوازرها في الشغل عاملة جديدة

وقد توالت على هذه النحلة قبل ان تتجنّح وتطير اطوار شتى من الوجدان فكانت اوّلاً بيضة صغيرة لا تكاد العين تبصرها ثم اصبحت دودة واخذت في النمو حتى انقلبت الى شرنقة ثم خرجت من الشرنقة نحلة كاملة ذات جوانح جميلة : وهكذا تتلد كلّ الهوام مهما تنوّعت وتكاثرت ففراشة النهار الزاهية الالوان التي تطير من زهرة الى زهرة وفراشة الليل التي تحوم حول سراجك في المساء وكل الحشرات المتنوعة الالوان والهيئة التي توجد في الحقول او على الاشجار كما الذباب الذي يقلق راحتك في بيتك كلّ هذه الهوامّ تخرج من بيضة صغيرة تفلها الامّ

ولا بدَّ لتلك البيضة ان تُجعل في حرارة تناسبها فتخرج منها دودة تتغذى من الكلإ او من ورق بعض النبات او من مادَّة آليَّة او نباتيَّة فسدت بالانحلال فكل نوع على حسب طبيعته وهكذا تنمو الدودة وترقى سلّم الحياة الى ان تصبح

اخيرًا حشرة مجنّحة او ذبابة او فراشة على حسب النوع. وهكذا ايضاً تلد النحلة. فان في عالم المادّة لا تخلق الطبيعة شيئاً ولا تخرجهُ من العدم فكل حيوان او كل حشرة مهما صغر حجمها انّما اصلها من جرثومة حيّة اذ ليس حيّ الّا من حيّ مثلهِ سبقهُ في الحياة الى ان تبلغ الحلقة الاولى من تلك السلسلة التي يضبطها الله الواجب الوجود

هذا ما اثبتهُ النابغة لويس باسطور بالاختبارات العديدة ومن ثمّ سقط زعم الطبيعيين الذين دافعوا زمناً طويلًا عن مبدأ التولد الذاتي وجاء ان ينكروا وجود الخالق فاليوم لا يمكنهم الثبوت على ما يزعمون امام تحديدات العلم الحقيقي في هذا الصدد

ووالدة النحلة كما مرَّ انما هي الملكة فاذا باضت وضعت بيضةً غاية في النعومة في احد مخاريب الشمع التي قامت ببنائها النحلات العاملات. فهذه البيضة تنفقس بعد ثلاثة ايام ان وُجدت في حرارة لا تنقص عن الثلاثين درجةً فصاعدًا فتخرج منها دودة دقيقة بيضاء لا قوائم ولا اجنحة لها فيقوم بقوتها بعض النحلات فيسهرن على حياتها ويُظهرن لها خالص الانعطاف ويقدّمن لها الطعام مرات عديدة في النهار ويكون هذا الطعام غاية في الجودة وهو عبارة عن مجموع زئير الزهور يُداف بقليل من العسل والماء. وهنّ يتأنّقن في هذا الطعام ويراعينَ في تركيبهِ نموّ الدودة. وبعد خمسة ايام تبلغ النحلة منتهى النموّ فتكفّ النحلات عن اعالتها ويبتدئنَ الخروب بغشاء نحيف من الشمع فتبقى الدودة مسجونةً وتمتنع عن الاكل ثم تنسج لها شرنقة من الحرير الخفيف ويصيب جسمها تغيير في بشرتهِ وبعد يومين تصبح في حالة الفيلجة لا تبدي حراكاً ففي هذه الحالة ينال جسمها هيئتهُ قليلًا فقليلًا وتتكوّن اعضاء النحلة وقوائمها وجناحها ورأسها وكل ما فيها ويشتدّ جسمها حتى يبلغ تمامهُ بعد عشرة ايام فحينئذٍ تخرق النحلة الشرنقة وتشقُّ غشاء الخروب وتُخرج رأسها وقوائمها ثم كلّ بدنها بجملتهِ وتخرج من سجنها حرّةً فهكذا تولد النحلة

واذا ولدت النحلة ولدت للشغل والجدّ فلا تكاد رفيقاتها ان ينتهين من تنشيفها ومسحها حتى تسرع الى العمل في صالح المستعمرة العمومي وهكذا بمدّة عشرين يوماً تصبح البيضة الصغيرة نحلةً عاملة وهذه النحلة اذ خلقت للعمل لا تنفك مشتغلة طول

حياتها وانما تستريح فقط في الأيام الماطرة والهواء البارد وعند ما يتلئ القفير مؤونة وما عدا تلك الفترة لا تعهدها الا في شغل شاغل صباحَ مساء

وليست كلّ عاملات النحل متشابهة فهلمّ نرقب مدخل القفير لنقف على ما يباشرنهُ من الاعمال المختلفة

انظر اولًا هذه النحلة الخارجة من الخليَّة وفي اثرها نحلة ثانية لكنهما ما كادتا تخرجان من القفير حتى تراهما تعطفان ادراجهما الى داخله فتغيبان هنيهة ثمَّ تعودان الى باب الخلية كأنهما تترصدان الداخلين. نعم هما حاجبتا الخلية القائمتان على حراسة بابها فالويل لغريب يتقرَّب منهُ سواء كان زنبورًا او نملة او ذبابة فتراهما المحال تحرلان دون الداخل وتردّانهِ على اعقابه مخذولًا

ولو تقدَّمتَ انت بنفسك ايها الراقب العزيز فبدَتْ منك حركة مشبوهة او حملهنَّ حضورك على الريبة من امرك لرأيتهما تحملان عليك حملة المدافع الغضبان ثم يتبعهما غيرهنَّ من النحل فتسمع حولك دويهنَّ كأنهنَّ ينادين الى الحرب. فان كنت لا تودّ ان تشعر بابرهنَّ المسمومة فانسحب منهنَّ بهدوء دون سرعة بل اضبط انفاسك لان التنفُّس يزيد هياجهنَّ

واذ عرفتَ النَّحلَ الحجَّاب انظر الآن الى غيرهنَّ فترى منهنَّ كثيرًا في ذهاب وايابٍ لا يكترثن لك البتة. فاذا خرجتْ منهنَّ نحلة تراها تخفُّ مسرعة حتى تبلغ الى مقدَّمة الخلية ثم تحلِّق في الفضاء. فتطير كأسهم الى حيث توصل وجود رزقها من نتاج الزهور المطلي فان وجدتهُ قريبًا فبها ونعمت وان كانت المسافة بعيدة وربما بعدت عن الخلية الى مسافة ثلاثة واربعة كيلومترات فلا ان تفوز بالمطلوب. ومن النحل ما يعود الى الخلية بحملهِ بعد شتّ النفس فتراهنَّ وقتئذٍ يلقين بنفسهنَّ على طعام الخلية بنهمة لما اصابهنَّ من العياء والتعب. وكم يتلف منهنَّ بأفة الدهر فهذه ترميها الريح في الماء وتلك يلتهمها الطير وغيرها يدوس عليها الزنابير فكلّ هؤلاء يذهبن ضحيَّة الصالح العمومي

اما العائدات الى الخلية بعد جناهنَّ فيكنَّ على هيئات شتى فالبعض يخلن لك فارغات وليس الامر كما تظنّ فانهنَّ مصمتنَ بخراطيمهنَّ قطرات من السائل السكري الذي وجدنهُ في كمّ الزهور فيحفظنهُ في حنجرتهنَّ كما في مستودع واذا عُدنَ الى

الشكل الاوّل النحلة في اطوار حياتها الاولى

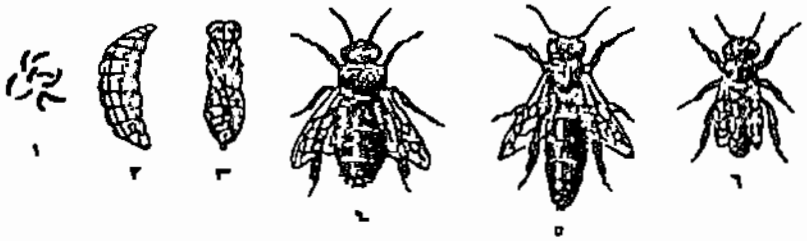

الشكل الثاني صورة (١) بيضة النحل (٢) دودتها (٣) زيزها (٤) النحلة الذكر (٥) الامّ او الملكة (٦) العاملة او العسّالة

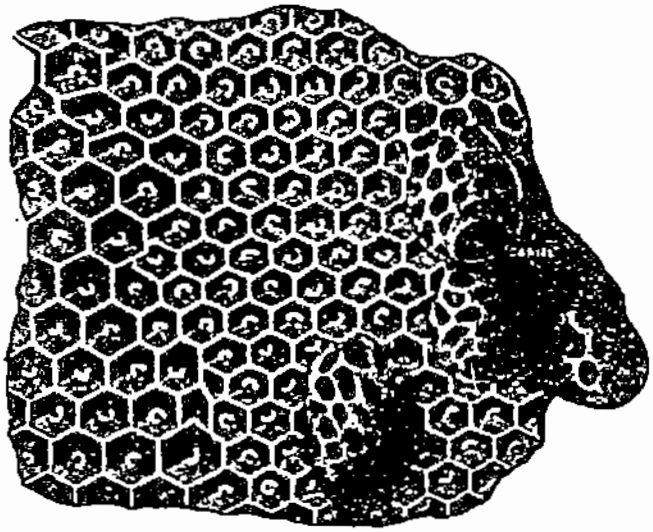

الشكل الثالث شهد العسل وفيه مخاريب واسعة للنحل الذكر شمالاً ثم مخاريب اصغر للعاملات في الوسط اما اليمين ففيه مخاريب لليعسوب او الملكة ثلاثة منها مفتوحة

الخلية مجنّـة في النخاريب الفارغة التي يتركب منها الشهد واصطنعتهُ نحل أُخرى في باطن الخليـة . ومنهنَّ مَنْ يُفرغ جناه فمًا الى فم فتنقلهُ الواحدة من الاخرى حتى يبلغ الى المستودع العمومي

حوّل الآن نظرك الى نحلات اخرى يقبلن الى الخلية بعد قطع المسافات البعيدة فكل واحدة منهنَّ تأتي وقد عُلق بزنبر مخالبها شيءٌ من الأعلاق (grumeaux) المختلفة الالوان جنتها من لقـاح الزهور فتودعها في بعض بيوت الخلية المختصة به حيث يدوسُها غيرُها من النحل فيصطنعنَ منها مأكلًا لطيفاً تتغذّى بها ديدان النحل قبل بلوغهنَّ . ولأن هذا لقاح الزهور يُشبه الغبار وهو ذو الوان شتى ترى النحلات بعد ان ولجنَ اكام الزهور ليستخرجنهُ يرجعن مصطبغات بتلك الالوان من حمرة او صفرة او بياض على حسب اجناس الزهور التي تمرَّغنَ فيهـا ولا يبالين واذا بلغنَ الخليَّة وجدنَ من ينفضهنَّ وينظف جناحينَ

ومن النحل الساقيات فهنَّ يقصدن العيون القريبة فيمتصصنَ من مياهها اصفى قطراتها فيأتين بها الخلية فيرششنها على مجموع لقاح الزهور ليُداف بها العسل ويعجنَ قوت الصغيرات

وليست كلّ هوامّ النحل الخارجات من الخلية يخرجن لجنى الزهور فيطرنَ الى الفضاء . كلّا بل يوجد بينهنَّ فئة لتهوية الخليـة وتبريد حرارتها في ايام القيظ . فانَّ هذه الفرقة العجيبة تقوم بازاء مدخل الخليـة وتغرز رأسها في الارض بلا حراك اما اجنحتها فتوجهها الى باب القفير فترفرف بها بسرعة غريبة بحيث يُسمع لهـا صوت خفيف فاذا فعلنَ ذلك صارت اجنحتهنَّ كمراوح تحرّك الريح وتلطّف من حرارته فيدخل الهواء رطباً الى الخليَّة ويخفف وطأة الحرّ . واذا تعبنَ بعد مدّة تـاوبت غيرهنَّ فتناوبن بالعمل . ياليت شعري من لا يرى في عمل هذه الحشرات الصغار يد الله البذي طبع فيهنَّ تلك الغريزة ليسعين الى كل ما يفيد الخير العام فيتفانينَ في سبيل الجمهور

انظر الآن الى نحلات اخرى هـا هنَّ يخرجنَ وفي افواههنَّ قطعة من الغشاء الشمعي المستدير الذي كنَّ ختمنَ به نخاريب المولودات في صومعهنَّ فلمَّا شقَّتها النحلة الصغيرة اصبح ذلك الغشاء نافلًا لا نفع لهُ فتنزعهُ العاملات ويلقينهُ خارج الخلية

وكذلك اذا ماتت نحلةٌ فلا تدع اخواتها جثتها في الخلية فتفسد ريحها بل يُخرجنها

الى المزبلة وكذا يصنعنَ بديدان النحل اذا وجدنهنَّ سقيات ضئيلات البنية لانهنَّ لا يدعنَ بينهنَّ الَّا كل عاملة تقوى على الشغل وتساعد جماعة النحل

والنحل في ذلك يجري على مقتضى غريزته لا يرعى سنَّة المحبة نحو الضعفاء والمستومين اذ لا عقل له. وكم جرى على وتيرته بعض همج الشعوب ذوي العقول الذين كانوا يقتلون اولادهم اذا وجدوهم مشوَّهين سقماء فيلقونهم في الازقَّة وعلى المزابل خلافاً لشواعر الانسانية وليس لهم عذر الحيوانات غير العاقلة

واذا ماتت في الخليَّة نحلةٌ امَّا عجزاً واما لداء عرض لها فهناك عاملاتٌ يحملنَ الميتة الى الخارج فيبقى التغير وعمل الشغل في نظافته. وهذا هو فعلهنَّ بكل جسم غريب يلج الخليَّة من اقذار وبقايا اقراص شمع وعُصافة ادخلها الريح الى باطن المأوى فانَّ الموكلات بتنظيف الخليَّة لا يُبقينَ من كل ذلك شيئاً ولا يذَرْن

وكما يعتني بعض النحل بكناسة الدار يهتمُّ غيرهنَّ بترميمه وهندامه. دَعنا ندخل قليلاً الى باطن الخليَّة لنعاين شيئاً من هندستهنَّ. فترى منهنَّ من وُكلت اليهنَّ نظارة البيت وتحصينهُ فاذا رأينَ في بعض جوانبه شقّاً ينفذ منهُ شعاع الشمس او ريح باردة او لمحنَ ثقباً يفتح باباً لهاجمة غريبة او عدوّ اسرعنَ للحال في سدّها. ويستحضرن لذلك نوعاً من العلك او السائل اللزج (propolis) يسدّ تلك النوافذ سدّاً محكماً. وان وقع في الخليَّة شيء من الحشرات او النفايات اخرجنها بلا بُطء. وان عجزنَ عن ذلك طمرنها في احدى زوايا الخلية وسجينها بالسائل المذكور كما يودع الميت في قبر مكلس بحيث لا يؤذي فساده الخليَّة

واذا قرب وقت الشتاء بادرت اولئك المهندسات الى باب الخليَّة لتضييقه لئلَّا ينفذ البرد الى سكان الدار فيوصدن الثقب بالعلك السابق ذكرهُ ولا يدعن سوى ثقبين صغيرين لمرور النحل وعلى هذه المنوال لا تنفقد الخليَّة حرارتها الباطنة اذا قرس البردُ في الخارج

انظر الآن اقراص الشمع التي لم ينجز بعد هندامها فترى على اطرافها عدداً عديداً من النحل تراكم بعضهن على بعض كبناء مرصوص وهنَّ لا يبدينَ حراكاً. فان سألت وماذا يصنع هؤلاء ما بالهنَّ جامدات فارغات لا يقمنَ بعمل ؟ ساء ظنك يا صاح فانَّ الكسل غير معروف في عشيرة النحل وانَّما هؤلاء قد اغتذين بالعسل

واكلن منهُ الى الشبع وها هنَّ يهضمن ما اكلنَ . وليس ذلك شراهةً او لمجرَّد اللذَّة لكن ليصطنعنَ منهُ شمعاً . وهذا الشمع يتكوَّن على ابدانهنَّ كما يرشح من جسمنا العرق وهو يخرج من النحلة على شبه صفائح دقيقة من تحت الحلقات التي يتألَّف منها قسم جسدها الاسفل . واذا استحضرنَ ذلك الشمع وحان الوقت للعمل تقدَّمن الى طرف القرص ونفضنَ شمعهنَّ فيتناولهُ فمُهنَّ ويلُكنهُ ثم يعجنَّهُ ويمركنهُ بمخالبهنَّ ويبتنين دون مطمار ولا مقياس تلك النخاريب العجيبة الصنع المسدَّسة الاشكال التي يُعدِدْنها لولد الذراريّ ولمخازن العسل . فهذا عمل الشمَّاعات والمهندسات

وبينهنَّ الأظآر يعطفنَ على المواليد كالأمّ على ابنها فتراهنَّ يستخرجنَ شيئاً من العسل يَدُفْنهُ بلقاح الزهور وماء المستقيات فيركبنَ المعجون الموافق للصغار كما مرَّ

ومنهنَّ العاسلات الموكول اليهنَّ صُنع العسل . فانهنَّ يعمدنَ الى النخاريب التي جعلت فيها العاملات تلك السوائل السكَّريَّة المجنيَّة على الزهور فينقلنها الى نخاريب اخرى أودعنَ فيها شيئاً من العسل ثمَّ يخلُطنها به ويمركنها عركاً طويلاً حتى تمتزج اجزاؤهُ امتزاجاً تامّاً ثمَّ يدَعْنهُ الى ان يتبخَّر ما فيهِ من الماء الزائد واذا امتلأ النخروب من العسل الماذيّ الشرف بسطنَ عليهِ غشاء يختمنهُ بهِ كما تفعل ربَّة البيت اذا ملأت اناء من المربَّيات فانَّها تلفُّهُ بلفافة نظيفة لصيانتهِ من كل وسخ او تجعل على فمهِ ورقاً مزيَّتاً فتشدُّهُ بالخيط

وبين النحل العاملات فئةٌ اخرى ارفع رتبةً أجلنا الكلام عنها عمداً . نريد بها تلبمات الملكة وحاشيتها اللواتي يَقُمنَ بخدمتها . وهي لعمري مهنة شريفة لكنها ليست خالية من العمل . فمن شأن هذه النحلات ان يُحدقنَ بالملكة ليلاً مع نهار ليسعينَ في سلامتها وتعيش في حرارة معتدلة متساوية توافق نتاج البيض . والملكة لا همَّ لها الَّا تأهيل المسكن بالنسل والذراري وهي لا تستطيع ان تقوم بمعاشها ولو تُركت مدَّةً وحدها لماتت جوعاً . وعليهِ يجب على حاشيتها ان يقدِّمن لها حاجتها من المأكل والمشرب

ثم ان الملكة ليست كبقيَّة النحل اللواتي يخرجنَ من الخليَّة ما شئنَ ويستنشقنَ

الهواء من حين الى حين ويلقين برازهنَّ واقذارهنَّ فانها اي الملكة على خلاف ذلك رابضةٌ ابدًا في مكانها فحاشيتها هي التي تقوم بكل لوازمها حتى ادناها شأنًا. واذا قضت في مقامها حاجتها اسرعت تابعاتها الى نقل الاقذار الملكية الى الخارج ولا يأنفنَ من ذلك اذ ليس شيء من العار في خدمة الملوك فيبقى هكذا المنزل الملكي نظيفًا طاهرًا كما يليق ببلاط الاشراف والعظماء.

وفي هذه المملكة النحلية الصغيرة اذا استثنينا الملكة وجدنا مساواة تامَّة فليس لكلِّ نحلة مهنةٌ تلزمها طولَ حياتها ولا تتعدَّاها الى غيرها في داخل الخليَّة وخارجها. كلًّا لكنَّ النحل كلهُ على سواء يمكنهُ ان يقوم باي عمل كان وليس هناك امرٌ من رئيس الى مرؤوس كما هو جار بين البشر الذين اعطاهم الله العقل للتدبير وانَّما هي غريزة طبيعيَّة فُطرت عليها تلك الحشرات فترى النحل مدفوعاتٍ الى اشغالها من جرَّاء قوَّة طبعها الله فيها لبقاء جنسها ثم لخدمة الانسان

نعم ان النحلة لمدفوعة من غريزتها الطبيعيَّة الى عملها العجيب دون ان تفقه لهُ معنًى او تدرك لهُ غايةً حتى ان احد فلاسفة الفرنج دعاها بادوات حيَّة يحرِّكها الوجدان كآلة ميكانيكيَّة الى ابراز اعمال مذهلة ترثها من الطبيعة دون تعليم وتأتيها دون تروٍّ. فلا فضل لها في اتباع غريزتها وانَّما الفضل هو لله خالقها الذي طبع فيها تلك الاخلاق لخدمة البشر. فيجب على الانسان ان يحمد الله في هذا الحيوان الصغير كما ينبغي عليهِ شكرهُ تعالى في خلائقهِ كلها. وكأنَّهُ عزَّ وجلَّ وضع في الحيوان غير العاقل تلك الجواصَّ لينبِّه الانسان الى الاحتذاء بها كما فعل سليمان الحكيم لما ارشد الكسلان الى النملة حيث قال (امثال ٦:٦): «اذهب الى النملة أيها الكسلان انظر طُرقها وكن حكيمًا انَّها ليس لها قائد ولا مدبِّر ولا حاكم وتُعدّ في الصيف طعامها وتوعي في الحصاد اكلها»

فكم من سجيَّة طيبة يستطيع الانسان ان يقتفي بها اذا عاين النحلة فيتعلَّم منها الشغل المتواصل والهمَّة التي لا تعرف الملل وبذل النفس للخير العام وايثار الموت على ضرر يلحق بالجماعة

ألا انظر مثلًا هذه الهامَّة الصغيرة بازاء عدوِّها فلن تقرَّب الى الخليَّة وشعرت بسوء نيته وثبتْ اليهِ ودقَّت نفير القتال وطارت حولهُ وهي تزجر وتُسمع الخصم

طنين الغضب وغمغمة الوعيد. فان ابتعد العدوّ رافقتهُ الى حيث تكون في مأمن من اذاه وتعود الى كوارتها والّا فتدعو الى الحرب رصيفاتها فترى النحلة ثم النحلتين ثم عشرًا وعشرين ومئة يقتحمنَ ميدان الوغى ويتهدّدن مجاهنَّ المعادي وان تجاسر ذاك الشقي ومدَّ يدهُ الى الخليَّة وليس عليهِ ما يقي بهِ عُري وجههِ ويديهِ من لسع النحل فالويل لهُ كلّ الويل فانَّ إبرَ تلك الهوامّ تنغرز في كل لحمانهِ فتذيقهُ من الآلام المبرّحة ما يعدُّهُ كالموت الاحمر. وهذه الابرة لا يمكن النحلة ان تشكّها في لحم عدوّها الّا وتفقد معها حلقةً من بدنها فلا تلبث ان تموت وعليهِ يكون موتها موت البطل الذي يضحّي بنفسهِ لصالح العموم

فليخجل بعد ذلك الانسان الذي لا يفكّر الّا في نفعهِ الخاصّ ويذهل عن خدمة وطنهِ واهلهِ وعائلتهِ فانَّ النحلة بشهامتها تسمهُ بسمة العار والخزي لأنانيَّتهِ وتفضيل ذاتهِ على الخير العام

وكم من فضيلةٍ أخرى يمكن العاقل ان يرى صورتها في النحلة فيرشد نفسهُ بها كرفقها بصغارها وكرامتها لملكتها وثباتها في العمل الى آخر رَمَق من حياتها وحيادها عن كل اعتصاب وعصيان في خدمة صاحبها اذ تعود الى التعسيل كلما يُسلب منها عسلها دون ان تحقد عليهِ وتبتعد عن خدمتهِ فعلى العاقل ان يفقه كل ذلك ويتّخذهُ عبرة لسلوكهِ

وممَّا يمكنهُ ان يستفيدهُ على خلاف ذلك من نظر النحل الفرق العظيم بين الحيوان الاعجم والانسان فان النحل منذ وُجد على الارض الى يومنا هذا لا يزال على طبعهِ الذي جُبل عليهِ دون ان يحيد عنهُ الى نقص او كمال فلو كان عاقلًا لوجد طرائق جديدة لتحسين عملهِ واختيار مكانهِ وتوفير رزقهِ وصيانة مالهِ من عادٍ ومحاولة الهجرة من مقام الانسان الى القفار وغير ذلك ممَّا لم ينتبه اليهِ النحل البتة ويثبت بهِ انهُ حيوان اعجم مدفوع من غيره لا خيرة لهُ ولا ارادة ولا فهم يبقى ابد الدهر في الدائرة التي وضعهُ الله فيها لا يتجاوزها ابدًا

وما نقولهُ عن النحلة يصحُّ قولهُ في كلّ حيوان فانَّ الله منحهُ غريزةً يجري عليها لحفظ حياتهِ ونوعهِ وهو في اتّباعها احذق من الانسان الّا انهُ لا يتخطّاها مطلقًا فترى الطيور اليوم تبني اعشاشها البديعة الصنع كما كانت تبنيها قبل الوف من السنين والعنكبوت يصطنع نسيجهُ كما رواه لنا اقدم المؤرخين والنملة تعمر بيتها

كما وصفهُ سليمان قبل ٣٠٠٠ سنة وقس عليها بقيَّـة الحيوانات التي لم تبلغ ذرَّة من الكمال مع توالي الدهور بينما الانسان لا يزال في ترقٍ دائم يكتشف كل يوم وسائل جديدة لمعاشهِ ولسكناه ولخدمة اهلهِ ومدينتهِ ووطنهِ . فناهيك بذلك برهاناً قاطعاً على بطلان المذهب الدروينيِّ في ترقي الانواع فضلًا عن الاجناس من الجماد الى النبات الى الحيوان الى الانسان فليس لدروين لتأييد قولهِ سوى الظنّ والتخمين بينما تقوم لتفنيدهِ كل الشواهد التاريخيَّة والاختبارات التواصلة والادلَّة العقليَّـة فتثبت بقاء الاجناس والانواع في الطبيعة دون ان تتغير فترقى من درجة سافلة الى درجة اعلى وتؤيد كما زعم قول سفر التكوين انهُ تعالى خلق النبات والحيوان مباشرةً على حسب اصنافهما كما خلق رأساً ابوينا الاولين (لهُ بقيَّة)

لا حول ولا...

من نظم حضرة الخوري وائيل البستاني بمدرسة الحكمة
اهدانا اياها بعد اعادة النظر فيها وتحسينها

ساقت رياحُ سياسةٍ خرقاء نحو البلاد سحائباً دكناء
فاربدَّ أفق الشرق منها واكتسى من كل دُهم المُضلات رداء
وقد اكفهرَّ مقطِّباً ومعبِّساً « فالأفق تُفقدهُ النيرمُ صفاء »
فأهاب فينا هاتفٌ : حتَّى متى انتم نيام والخطوب إزاء ؟
فتراكمت في جوِّكم وتكاثفت سُحبٌ سحبنَ على البلاد بلاء
حتَّى مَ انتم في عميق سُباتكم حتَّى مَ يهوى جفنكم اغفاء ؟
فازال من اجفانهم سِنةَ الكرى قصفٌ يكاد يُدكدكُ الغبراء
وخفاً من الفولاذ لمعُ بوارق دلعت لساناً يلهمُ الظلماء
فارتجَّ متن الشرق من خَطب طغى والغربُ هبَّ يردِّد الاصداء
فهفا غطارفةٌ واهل حفيظةٍ وحميَّة كي يكشفوا الغمَّاء
وعلا ذوو الرأي الاصيل مثابراً ليوطِّدوا بين القلوب ولاء
انَّ التعاضد والتضامن مَعقِلٌ يزري بكل إغـارة شعواء